

الأيدولوجيا في الترجمة: بين الرفض والاحتواء

د. فاطمة الزهراء ضياف *

جامعة محمد بوقرة- بومرداس

f.diaf@univ-boumerdes.dz

الاستلام: 2020/02/16 . القبول: 2022/04/20 . النشر: 2022/05/30

الملخص:

يصادف المترجم عند نقله لمختلف الإنتاجات إلى اللغة العربية الكثير من المفردات والعبارات ذات الطابع الأيدولوجي التي تطرح إشكالا يتمثل في كيفية تقبلها من طرف المتلقي العربي، وهنا يقف المترجم موقفا لا يُحسد عليه يحار فيه بين الأمانة للنص الأصلي ومراعاة المتلقي في اللغة المستهدفة. من هنا، سنتطرق إلى هذا الجانب في لغة الأدب والصحافة والأفلام، وإشكالية نقله إلى المتلقي العربي، ونركز على التساؤلات التالية: ما هي التحديات ذات الطابع الأيدولوجي التي يصادفها المترجم؟ ما هي الاستراتيجيات والتقنيات التي يلجأ إليها في هذه الحالة؟

الكلمات المفتاحية: الترجمة؛ الأيدولوجيا؛ المترجم.

Ideology in Translation:

Between Rejection and Containment

Abstract :

المؤلف المرسل *

The translator, When transmitting various texts into Arabic, encounters many ideological words and expressions that give rise to forms of acceptance by the Arab recipient. From here, we will address this aspect in the language of literature, journalism and films, and the problem of transmitting it to the Arab recipient, focusing on the following questions: What ideological challenges does the translator encounter? What strategies and techniques are used in this case?

Key words: Translation; ideology; translator ;

1. مقدمة:

رغم أن التعريف البسيط للترجمة هو نقل نص من لغة إلى أخرى، يأتي منظرو الترجمة ليؤكدوا في كل مرة على أن الترجمة ليست انتقالا صرفا بين لغتين، إنما هو سفر بين الثقافات يؤدي فيه المترجم دورا فعالا وحاسما.

وفي عصر العولمة الذي نعيشه، حيث تأثير وسائل الإعلام باختلاف مللها ونحلها على حياتنا بطريقة أو بأخرى، يطالب الناس أكثر من أي عصر آخر بالحق في تقاسم آخر الأفلام والأغاني والكتب وتبادلها بين الثقافات، ويمكن تلخيص دور المترجم هنا في عبارة موجزة "القدرة على نفي الغرابة وخلق القرابة". فهل هو الدور نفسه إذا تطرقنا للبعد الأيديولوجي في العملية الترجمة.

يصادف المترجم عند نقله لمختلف الإنتاجات الأدبية والإعلامية والسمعية البصرية إلى اللغة العربية الكثير من المفردات والعبارات ذات الطابع الأيديولوجي التي تطرح إشكالا يتمثل في كيفية تقبلها من طرف المتلقي العربي، وهنا يقف المترجم موقفا لا يحسد عليه يحار فيه بين الأمانة للنص الأصلي ومراعاة المتلقي في اللغة المستهدفة.

2. ماهية الأيديولوجيا:

يستخدم مصطلح "إيديولوجيا" للإشارة إلى نظام ترتيب وتأويل العالم، أو إلى مجموع المعتقدات والافتراضات المسبقة التي توجه سلوك فرد أو جماعة، لذا فالأيديولوجيات بإمكانها أن تكون فردية أو جماعية¹. والأيديولوجيا عند مايسون (Mason)² هي مجموع العقائد والقيم التي تشكل رؤية فرد أو مؤسسة إلى العالم وتساعد على تأويل الأحداث... إلخ.

وتعتبر الأيديولوجيات عن نفسها بوضوح من خلال اللغة³ فواء الخيارات اللغوية لكل فرد أو جماعة تقبع خلفيات إيديولوجية تؤثر على انتقاء كلمات أو مصطلحات دون أخرى.

3. البعد الأيديولوجي في الترجمة:

لقد ذهب أنتوني بيم (Pym)⁴ بعيدا وهو يتتبع انبثاق الأيديولوجيا داخل الترجمة واتجه نحو المترجم بدل الاتجاه إلى فعل الترجمة ذاته لأن الأيديولوجيا ليست إلا المنطلق الذي يتبناه المترجم في اشتغاله بين حدود الثقافات واللغات، ومن ثم عالج عدة إشكاليات تتعلق خصوصا بالمترجم والانتماء، فقد دلت عدة أحداث يُمثل لها بترجمة أعمال سلمان رشدي، على أن الترجمة ليست عملا محايدا، بل هي انتماء وتموقع ومن ثم يتساءل عن إمكانية أن يقف المترجم بين الثقافات لا داخلها، قائلا: "ألا يمكن أن يتشكل منظور ثقافي؟"

إن الانتقال بين اللغتين — الثقافتين — المنقولة والمنقول إليها لا يمر مرور الكرام، لأن خصائص كل من اللغتين — النابعتين بالطبع من الثقافة التي تنحدر منها كل منهما — ينعكس على هذه العملية التي يجب أن يراعي فيها المترجم هذه الاختلافات ويتقي الصدمات الناتجة عن احتكاكهما لأنه حسب نيمير⁵ ينتمي المستخدمون إلى عالم ثقافي يختلف عن ذلك الذي قُصدت فيه الرموز لذلك نتوقع صدمات كبرى بين هذين العالمين.

ولم تنعزل الترجمة يوما عن الأيديولوجيا، فقد رُبطت نشأة الترجمة بالحاجة التبشيرية⁶ وتتداخل الترجمة أيضاً، حسب أندريه لوفيفر⁷، مع قضايا ذات علاقة بالسلطة والمشروعية والحساسية الثقافية، مما يجعلها موضوع جدل دائم وعميق حول مشروعيتها، مدى التأثير المباح للغة أو ثقافة في لغة وثقافة أخرى.

ويخلص فينوتي⁸ إلى أن للمؤسسات ذات النفوذ الاجتماعي والثقافي تأثيرا على عملية تشكيل الهوية في المجتمع، ويمتد هذا التأثير إلى المترجم نفسه، باعتباره جزءا من هذا النسيج الاجتماعي. كما يستنتج لوفيفر⁹ أن الترجمة بصفتها "إعادة صياغة للنص الأصلي تحكمها دوافع أيديولوجية أو تقع تحت قيود أيديولوجية". لهذا غالبا ما يقع المترجم في "فخ" الخيانة إذا انتهك خصوصيات النص الأصلي لكي يبقى ضمن الحدود التي ترسمها الثقافة المستهدفة¹⁰ كما يصف العلاقة بين الاعتبارات اللسانية من جهة والاعتبارات الأيديولوجية و[..الشعرية] من جهة أخرى حيث إذا وقعت في صراع تكون الغلبة حتما للأيديولوجيا¹¹.

تؤكد المقاربة الأيديولوجية للترجمة أن عملية نقل نص من لغة إلى أخرى موقف أيديولوجي قبل أي شيء آخر، نافية بذلك حيادية أي رسالة في مجال الاتصال، كونها تتعرض للتوجيه الديني أو الثقافي أو السياسي أو الأيديولوجي.¹²

1.3. البعد الأيديولوجي في الترجمة الأدبية:

يستند الأدب في كل عصر إلى أيديولوجيا تمكنه من تحقيق ذاته، ويمكنها من فرض سيطرتها على المجتمع و أفراد¹³، من هنا يتضح لنا جليا أن علاقة الأدب بالأيديولوجيا علاقة وطيدة ومتينة، بل معقدة و خطيرة في الآن ذاته، لأنها تحمل الكثير من التجارب والتصورات المختلفة.

وينسحب هذا الكلام عند نقل الآداب من لغة إلى أخرى، حيث يفرض البعد الأيديولوجي المتضمن في العمل الأدبي أيا كان (رواية، قصيدة شعرية، مسرحية...) نفسه على اختيارات المترجم واعتماده على تقنية أو استراتيجية ترجمة دون أخرى.

2.3. الأيديولوجيا والترجمة الإعلامية:

كل صحيفة شكلها وصيغتها التي تصاغ بها، إضافة إلى توجهها. ونعني بالصيغة جانبها الشكلي الذي يميزها عن باقي الصحف المعروضة في الأكشاك، أما توجه الصحيفة فإنه يقابل اختيارات سياسة التحرير التي تخضع لعدة محددات: أيديولوجية أو فكرية أو سياسية أو اقتصادية.. الخ. وإن وصفت وسائل الإعلام عادة بأنها السلطة الرابعة في المجتمع لأنها وجدت أصلا لمواجهة مناورات الخطابات السياسية والأيديولوجية، إلا أنها، خصوصا في مجتمعاتنا العربية، قد تخضع هي الأخرى لسلطة أيديولوجية تتحكم في اختياراتها ومحتوى خطاباتها. وبذلك فإن الصحافة تتحكم في المتلقي بعد أن تخضع هي الأخرى لسيطرة نخبة اجتماعية، سياسية، اقتصادية أو دينية محددة تكون لجنة تحريرها أو من يكون وراءها. ومتى انتقلنا من الصحافي-الكاتب إلى الصحافي-المترجم قبلنا بالحديث عن ما يتركه فكر المترجم وإيديولوجيته من أثر على اختياره للنصوص التي يود ترجمتها. هذا الاختيار الذي يؤثر بدوره على أداء المترجم ومقاصده ومدى التطابق بين ما يتوخاه لترجمته من آثار ومفاعيل، وما يتحقق فعلا على صعيد العلاقة مع الآخر، أي مع القارئ. وإن كانت الترجمة في العالم العربي لا تزال تنزع إلى الأعمال الأدبية أو التقنية التي لا تتعارض مع بطش السلطة (السلطة السياسية أو الثقافية-الإعلامية)، فهذا لا يعطي الحق للصحافي-المترجم في ترجمة ما يروق

للمسؤولين والتستر أو تفادي ترجمة ما يقلقهم نزولا عند رغبة رئيس التحرير الخاضع هو الآخر لسلطة فوقية، بل على المترجم متى انتهى من اختيار المقال المراد ترجمته أن ينقل معناه إلى اللغة الأخرى كاملا دون نقص أو زيادة أو تحريف أو تشويه. ولنقل إن للنص الأصل سلطة على المترجم لا يجب التنصل منها للخضوع لسلطة إيديولوجية أو سياسية أو ثقافية خارجة عن هذا النص. وغني عن البيان أن عصر العلم رهن الديمقراطية. وكلما اتسع نطاق الحرية في الكتابة وفي الترجمة، اتسع نطاق النشاط الفكري بمدلوله ومضمونه الاجتماعيين. ولهذا فإن البعد السياسي والإيديولوجي مكمل للبعد المعرفي- الثقافي، ودون هذه الشروط تفقد الترجمة الصحافية، متخصصة كانت أم أدبية أم عامة، الدافع إليها.

3.3. الأيديولوجيا في الترجمة السمعية البصرية:

في عصر العولمة الذي نعيشه، حيث تأثير وسائل الإعلام باختلاف مللها ونحلها على حياتنا بطريقة أو بأخرى، يطالب الناس أكثر من أي عصر آخر بالحق في تقاسم آخر الأفلام والأغاني والكتب وتبادلها بين الثقافات، ويمكن تلخيص دور المترجم هنا في عبارة موجزة "القدرة على نفي الغرابة وخلق القربة". فهل هو الدور نفسه إذا تطرقنا للبعد الأيديولوجي في العملية الترجمة.

يصادف المترجم السمعي البصري- وخاصة المسترج- عند نقله لمختلف الإنتاجات السمعية البصرية إلى اللغة العربية الكثير من المفردات والعبارات ذات الطابع الأيديولوجي التي تطرح إشكالا يتمثل في كيفية تقبلها من طرف المتلقي العربي، وهنا يقف المسترج موقفا لا يُحسد عليه يحار فيه بين الأمانة للنص الأصلي ومراعاة المتلقي في اللغة المستهدفة.¹⁴

4.3. الأيديولوجيا وترجمة الخطاب السياسي:

إن الخطاب السياسي من النصوص ذات الخصوصية التي تستمد من عدة عناصر أهمها من يلقي الخطاب إلى المتلقي إلى المحفل أو الموقف الذي يتلى فيه، كل هذا يؤثر على اختيارات المترجم والإكراهات الناتجة عنها.

ومن أمثلة ما تتعرض له الترجمة من تلاعب في الخطاب السياسي هو ما شهده العالم العربي في خضم الأزمة القطرية - الخليجية حين حَرَفَ مترجم قناة الجزيرة في خطاب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أثناء شنه هجوماً على قطر ورعايتها للإرهاب ضارباً بأخلاقيات مهنة الترجمة عرض الحائط، فتحول الإرهاب "terrorism" إلى المتطرفين، وقطر كانت على مر

التاريخ ممولة للإرهاب "Qatar has historically been a founder of terrorism" إلى قطر كان لها علاقة جيدة في هذا الأمر، ويجب على قطر وقف هذا التمويل "they have to end that funding" إلى وقف هذه العمليات.

وهذه ليست المرة الأولى بالطبع التي يبرز دور إيديولوجية المترجم في الترجمة، خصوصاً فيما يتعلق بالخطاب السياسي، ونذكر هنا تحريف إيران لترجمة خطاب الرئيس المصري السابق محمد مرسي إبان قمة عدم الانحياز مما شكل صدمة صاعقة، حيث تلاعبت هيئة الإذاعة والتلفزيون الإيراني الرسمي في الترجمة الفارسية الفورية لخطاب الرئيس المصري في المؤتمر أثناء بث الخطاب باللغة الفارسية ليتوافق مع أجندة النظام الإيراني، مُدخلة إلى النص في الترجمة الفارسية اسم البحرين أثناء حديث الرئيس عن ثورات الربيع العربي، وحاذفةً الخلفاء الراشدين من الخطاب الذي تضمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ومُستبدلة الربيع العربي بالصحوة الإسلامية. ولم يتوقف التحريف عند خطاب الرئيس المصري فحسب بل طال خطاب كل من الأمين العام للأمم المتحدة السابق بان كي مون، ورئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ناصر عبدالعزيز حول الأزمة السورية.

4. دور المترجم :

لا يتوقف دور المترجم عند مجرد النقل و استبدال رموز لغوية بأخرى بل يتعداه إلى التفسير أو على الأقل التوسط الديناميكي بين النص والقارئ¹⁵ فبينما بول ريكور يطلق عليه مسمى "passeur" (ناقل)، يضيف عليه حاتم ومايسون أنه وسيط ثقافي أكثر منه لغوي.¹⁶

وعلى المترجم حسب ليفي "اختيار الحل الذي يحدث أثراً أقصى عن طريق أدنى جهد" يبذله المتلقي لفهم الرسالة¹⁷ ويقول حاتم و ميسون¹⁸ أن المترجمين يتوسطون بين ثقافات بما في ذلك التوسط بين الأيديولوجيا وبين القيم الاجتماعية، والبنى السياسية والاجتماعية بهدف التغلب على تلك المفارقات التي تقف في طريق نقل المعنى، والمترجمون هم حراس، حماة ومروّجو ثقافات العالم.¹⁹

5. المترجم بين الموضوعية والذاتية:

يعرف فينوتي²⁰ الترجمة بأنها "عملية يتم بها استبدال سلسلة من الدوال المكونة للنص في اللغة المنقولة بسلسلة من الدوال في اللغة المنقول إليها يختارها المترجم بناء على قوة التأويل"

ليس هناك مترجم يستطيع تجنب درجة معينة من التأثير الشخصي على عمله²¹ وغالبا ما يتخذ المترجم إحدى القرارين؛ إما التمسك باللغة والثقافة الأصليتين على حساب اللغة والثقافة المستقبلية أو العكس، على حد تعبير "وليام همبولت (William Humboldt): "يواجه كل مترجم حتما أحد الخيارين التاليين؛ إما يتمسك بالمصدر على حساب لغة شعبه، أو يتمسك بالأصالة على حساب النص المترجم"²²، كما المترجم السعفي البصري هو الناطق باسم الشركة المنتجة وفي الوقت نفسه صدى المشاهد²³، وأمام هذه الازدواجية المفروضة عليه، يجب أن يوازن بين الدورين.

وأيّا كانت الصعوبات في الترجمة؛ فإن الكلمة الأخيرة تعود لذاتية المترجم وتأويله للنص، وقراره في اختيار المفردات.

وعن المظاهر الثقافية وذاتية المترجم، وعلاقته الغيرية مع الآخر، يرى (Cordonnier) أنه "ينبغي كذلك أن نأخذ في الحسبان، توجهات المترجم في علاقته مع الآخر الغريب عنه، وكيف يرى الدور الذي يجب أن تلعبه ثقافته الخاصة عند التفاعل مع الآخر [...] قدور المترجم لا ينحصر فقط في نقل القيم والمظاهر الثقافية"²⁴ بل يمثل المترجم كذلك الشخص الذي باعترافه بالآخر يغير توجهات مجتمعه، يوتر 'ألفاظ عشيرته'.

لكن حسب بريسي (Brisset)²⁵ يتطلب العمل الترجمي مترجما قائما بذاته متحررا في خياره الترجمي الأساسي متحررا في خياراته الدقيقة ومتحررا في تحكمه بهذه السلسلة.

ويرى أنصار الاتجاه الأيديولوجي في الترجمة (Penrad, Berman, Meschonnic) أن المترجم لا يستطيع أن يمنع نفسه من اتخاذ موقف معين تجاه لغته أو ثقافته الخاصة أو لغة الآخر أو ثقافته، فمفهوم "حيادية المترجم" ضرب من الخيال والأيديولوجيا جزء لا يتجزأ من عملية الترجمة²⁶

إن الوصول إلى المعنى في الفعل الترجمي هي عملية إكراه بمعنى أنّ الثقافة هو مكان جماعي معقد ومتنوع مما يفرض معايير الخاصة للملاءمة كما يبدي مقاومة شديدة عبر عوامل

مختلفة. فقد يكون العامل الإيديولوجي أو الضغط السياسي أو الرؤية الاجتماعية أو التقليد الثقافي سببا مقاوما و بالتالي إحداث تغييرات أو انتقادات تتناسب مع فضاء المتلقي و حساسية القارئ²⁷.

6. خاتمة:

إن البعد الثقافي في الترجمة ينطوي على أهمية كبيرة، ويأتي العنصر الأيديولوجي ليفرض نفسه كعامل قوي ومسيطر في العملية الترجمية بحكم ارتباطه بخلفية النص الأصلي والنص المستهدف وشخصية المترجم الوسيط بينهما.

إن دور المترجم في نقل النصوص التي تنطوي على إحياءات أو عناصر أيديولوجية مهم وحساس، فهو يقف بين صفتين وعليه الاختيار الرسو على إحداها، وهنا عليه أن يختار أن يكون أمينا للنص الأصلي بكل ما يحمله من شحنات ثقافية وأيديولوجية، أو أن ينساق أو يخضع لما تقرضه بيئته وخلفيته وكل ما يشكل ضغطا أو على الأقل تأثيرا لكي يراعي المتلقي في لغته المستهدفة، فيتصرف في نقل كل لفظ أو عبارة تناوئ وتخالف عقيدته و ايديولوجيته ونظرتة للآخر.

7. الهوامش:

¹ Serban, Adriana Enjeux et défis de la traduction des textes religieux : prolégomènes à une étude des choix identitaires en Transylvanie , Cahiers d'études du religieux. Recherches interdisciplinaires [En ligne] , 4 | 2008 , mis en ligne le 19 décembre 2008, consulté le 04 avril 2011. URL : <http://cerri.revues.org/583>.

² Mason, Ian. (1994) Discourse, Ideology and Translation. / in R de Beaugrande, A Shunnaq and M Heliel (eds), "Language, Discourse and Translation in the West and Middle-East", Amsterdam: Benjamins. p. 23-34.

³ Hatim, B. and I. Mason.: (1990): Discourse and the Translator, Longman Group, UK.

⁴ Pym Anthony:(1997): Pour une éthique du traducteur, PUF 14-40.

⁵ Niemeier, S. (1991) : "Intercultural Dimensions of Pragmatics in Film Synchronisation", The Pragmatics of International and Intercultural Communication, J. Blommueret & J. Verschueren (eds.), Amsterdam, Benjamins. P45

⁶ Steiner, George, Apres Babel, une poétique du dire et de la traduction, traduit par Lucienne Lotringer et pierre Emmanuel Dauzat, Albin Michel, 1998, 31-44.

⁷ Lefevere, A. (1992) Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame, London/New York: Routledge.

⁸ Venuti, Lawrence: (1998) The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference, London and New York: Routledge. 81-82

⁹ Lefevere, idem, 7.

¹⁰ Lefevere, idem, 13.

¹¹ Lefevere, idem, 39.

¹² بن محمد، إيمان وبن خليل إيمان، أساليب الترجمة التوجيهية في ضوء المقاربة الأيديولوجية النص التاريخي أنموذجاً، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد 12، 2020، المجلد 3، ص157.

¹³ أحمد مداس: الأيديولوجيا وصراع المركز والهامش عند الغربيين، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السابع، 2011، ص43.

¹⁴ ضياف، فاطمة الزهراء، إشكالية نقل المفردات والعبارات الدينية من الإنجليزية إلى العربية، أطروحة دكتوراه، معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2، 2015.

¹⁵ خمري، حسين، جوهر الترجمة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، ص 22.

¹⁶ Hatim, B. and I. Mason, Discourse and the Translator, Longman Group, UK. 1990, 223-224.

¹⁷ Redouane, Joëlle : (1985) Traductologie Science et philosophie, Office des publications universitaires, Alger.

¹⁸ Hatim and Mason, idem.

¹⁹ Lederer, Marianne., La traduction aujourd'hui: le modèle interprétatif, Hachette, Paris, 1994, 197.

²⁰ Venuti, Lawrence: The Translator's Invisibility. A history of translation, London and New York: Routledge, 1995, 17.

²¹ Nida, Eugene (1964). Toward a Science of Translating. Leiden. E. J. Brill.

²² Berman, Antoine, La Traduction et La Lettre ou l'Auberge du lointain, Paris, Seuil, 1999, p.78.

²³ Gambier, Yves, Orientations de la recherche en traduction audiovisuelle, Amsterdam & Philadelphia, John Benjamins, 2006, 213.

²⁴ Cordonnier, Jean Louis (2002) Aspects culturels de la traduction ; quelques notions clés, Université de Franche-Comté, Besançon, France, Meta, XLVII, 1.

²⁵ Brisset, Annie L'identité culturelle de la traduction : En réponse à Antoine Berman, PALIMPSETES, N11, Traduire la culture, Université PARIS III. SORBONNE Nouvelle, Presse de la Sorbonne Nouvelle, 1998, p 33.

²⁶ Meschonnic, Henri, Pour la poétique, Le Chemin et Gallimard, 1973, p. 305.

²⁷ Brisset, p37.